 

الطاعون في الطب النبوي والطب الحديث





الأحاديث النبوية التي وردت في الطاعون:

● عن أسامه بن زيد رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن هذا الطاعون رجز على من كان قبلكم أو على بني اسرائيل فإذا كان بأرض فلا تخرجوا منها فراراً منه وإذا كان بأرض فلا تدخلوها».

أخرجه البخاري ومسلم

● عن عائشة رضي الله عنها قالت: يارسول الله فما الطاعون، قال: غده كغدة الابل المقيم فيها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف».

أخرجه الامام أحمد

● المطعون شهيد والمبطون شهيد

أخرجه البخاري

المطعون هو الذي توفي نتيجة الاصابة بالطاعون.
المبطون هو الذي توفي نتيجة إصابته بالاسهال الشديد.

● «الفار من الطاعون كالفار من الزحف والصابر فيه كالصابر في الزحف»

أخرجه أحمد

نبذة تاريخية عن الطاعون :

الطاعون وباء شديد الخطورة أصاب الأمم السابقة وكان شديد الفتك بهم، واستمر ظهور الطاعون من حين الى آخر، وقد ظهر في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو المشهور بطاعون عمواس (قرية من قرى الشام)، ثم انتشر في كثير من قرى الشام واستمر في الانتشار واستشهد فيه كثير من الصحابة رضوان الله عليهم. ظهر أيضاً الطاعون في القرن الرابع عشر الميلادي واكتسح أوروبا وآسيا وكان عدد ضحاياه كثير (ربع سكان أوروبا) أطلق عليه اسم الموت الأسود.

وظهر وباء عام ١٨٩٤م في الصين وانتشر الى كل القارات وأمريكا ١٩٠٠، أما الآن فقد أصبح هذا المرض نادراً بسبب الانتشار الواسع للمواد الكيميائية القاتلة للحشرات.

سبب الطاعون وطرق انتشاره

إن سبب الطاعون ميكروب صغير على شكل عصيات قصيرة وسلبية الغرام، يظهر لها محفظة في بعض الأحيان عند صبغها بصبغة أزرق الميثيلين وتمتاز بأن أطرافها تأخذ الصبغة الأغمق من الوسط ولهذا تعرف بخاصية ذات القطبين. والاسم العلمي لهذه العصية Pasturella Pestis

أكتشف ميكروب الطاعون عام ١٨٩٤م أثناء حدوث الوباء بالطاعون في هونغ كونغ وقد اكتشفه العالمان يرسن وشيبا سابور وكيتاستو كل منهم على حده.

المستودع الطبيعي للطاعون هي القوارض المتوحشة Wildrodents وتحدث بينها أوبئة دورية وقد تنتقل العدوى منها للفئران المنزلية في الريف أو الحضر حيث تلتقي بالقوارض المتوحشة ومصدر العدوى المباشر للطاعون هو البرغوث، أو الرذاذ والبصاق المتطاير من المرض بطاعون رئوي.

يتكاثر الميكروب في البرغوث، وعندما يتمص دم ضحاياه فإنه ينقل الميكروب بواسطة الأوعية اللمفاوية الى الغدد اللمفاوية، ومنها يظهر الطاعون الدملي. أما الطاعون الرئوي فتتم العدوى من المريض الى مريض آخر بواسطة الرذاذ.

مدة فترة حضانة الطاعون هي ٢ ــ ٦ أيام أو أقل.

أشكال الطاعون :

للطاعون شكلان سريران :

١ ــ الطاعون الدملي (الغددي) Bubonicplague

وتنقل براغيث الجرذان المرض عن طريق لسعها للجرذ المصاب، حيث تتجمع وتتكاثر

عصيات الطاعون في القناة الهضمية للبرغوث ثم تنتقل للانسان عن طريق اللسع، و بعد فترة الحضانة يتعرض فيها المريض للاقياء والحرارة المرتفعة وتهاجر العصيات من مكان اللسعة الى العقد اللمفاوية تحت الابطين والمغبن مسببه تضخمها وتدعى العقد المتضخمة Buboes

و يوجد هذا النوع في حوالي ٧٥٪ من إصابات البشر بالطاعون ومن علائمه ضخامة التهابية في العقد اللمفاوية.

وهذا النوع من الطاعون هو الذي أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه عندما سألته عائشة رضي الله عنها عن الطاعون «غدة كغدة الإبل».

الطاعون الرئوي Pueumonic Plague

وغالبا مايحدث كمضاعف للطاعون الدملي و يؤدي الى التهاب رئوي شديد نتيجة الاستنشاق للجراثيم و يصاحبه سرعة التنفس وازرقاق في الجلد و بصاق (قشع) مائي في البداية ثم دموي مملوء بعصيات الطاعون و يزداد الازرقاق في المراحل الأخيرة لنقص الأوكسجين ويموت المريض بالاختناق. قد يتحول الطاعون الى طاعون رئوي.

وهناك نوع آخر من الطاعون يسمى **الطاعون التسممي Sephcemic Plague** وهو نادر الحدوث وتنتهي الحالة غالباً بالغيبوبة والوفاة.

يفترق الطاعون الرئوي عن الطاعون الغددي بعدة فروق:

١ ــ إن انتقال العدوى في الطاعون الغددي تكون بواسطة البراغيث والحشرات الى الانسان أما في الطاعون الرئوي فيبصق المريض دما وقيحا.. وتنتقل الميكروبات والعصيات في البصاق بواسطة التنفس من المريض الى السلم فتصيب الرئتين والقلب مباشرة.

٢ ــ إن الطاعون الغددي يصيب الغدد اللمفاوية أولا فتتضخم ثم ينتقل بعد ذلك الى الدم وتكون إصابة الدم والرئتين ثانوية، بينما يصيب الطاعون الرئوي الرئتين والقلب مباشرة ولذا لا تظهر أي غدد لمفاوية في الاباط والمراق لأن الاصابة داخلية.

٣ ــ إن الطاعون الرئوي أشد فتكا من الطاعون الغددي ولايكاد ينجو منه أحد إلا إذا عولج بسرعة فائقة بالمضادات الحيوية والأوكسجين وأدوية هبوط القلب

ماذا نستفيد من الأحاديث النبوية السابقة الذكر:

لخص الرسول (صلى الله عليه وسلم) أعراض المرض وتشخيص المرض بكلمات قليلة أهم مايحتاج الى معرفته الشخص العادي الذي يسأل عن الطاعون «غدة كغدة البعير تخرج في المراق والابط» ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشاهد مريضاً بالطاعون، ولاعرف الطاعون

في جزيرة العرب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه نور النبوة يوضح المجاهيل و ينير السبيل في كل فرع من فروع المعرفة وفي كل ميدان من ميادين الحياة بكلمات قليلة لايأيتها الباطل من بين يديها ولامن خلفها.

أما عن سبب الطاعون فقال صلى الله عليه وسلم: «فناء امتي بالطعن والطاعون» قيل يارسول الله (هذا طعن قد عرفناه؟ فما الطاعون؟ قال، وهذا من أعدائكم الجن وفي كل شهادة) رواه أبو حنيفه.

والجن هي التسمية التي أطلقها الرسول صلى الله عليه وسلم على الميكرو بات هي معجزة لأن هذه التسمية أصح وأكمل من تسمية هذا النوع من العوالم العضوية الحية بالميكرو بات. لأن معنى الجن اللغوي مشتق من الجنة بمعنى الستر ومنها الجنين و ينصرف معناها اللغوي لكل مايرى من المخلوقات العضوية الصغيرة وهي تدب دباً و بلغة أهل العلم Microrganism ومنها المرئية وغير المرئية بالميكروسكوب، الأمر الذي يظهر بجلاء إن تسميته صلى الله عليه وسلم هذا النوع من العوالم العضوية الصغيرة غير المرئية رأسا بالبصر بالجن أنسب وأحكم من تسميتها بالميكرو بات والجراثيم فيكون النبي قد أرشد لوجودها منذ قرابة قرناً قبل اكتشاف مسبب الطاعون عام ١٨٩٤م.

الحجر الصحي (Qurantine) : و يتعبر من أهم وسائل مقاومة إنتشار الأمراض الوبائية و يظهر بجلاء مما تقدم أن الأحاديث النبوية الشريفة قد حددث مبادىء الحجر الصحي كأوضح مايكون التحديد فهي تمنع الناس من الدخول الى البلدة المصابة بالطاعون، كما أنها تمنع أهل البلدة من الخروج منها.

منع الشخص السلم من الدخول الى أرض الوباء قد يكون مفهوماً بدون الحاجة الى معرفة دقيقة بالطب، ولكن منع سكان البلدة المصابة بالوباء من الخروج وخاصة الاصحاء منهم يبدو عسيراً على الفهم بدون معرفة واسعة بالعلوم الطبية الحديثة، فالمنطق والعقل يفرض على السلم الذي يعيش في بلدة الوباء أن يفد فيها الى بلدة سليمة حتى لايصاب هو بالوباء.

ولكن الطب الحديث يقول إن الشخص السليم في منطقة الوباء قد يكون حاملا للميكروب وكثير من الأوبئة تصيب العديد من الناس ولكن ليس كل من دخل جسمه الميكروب يصبح مريضاً، فكم من شخص يحمل جراثيم المرض دون أن يبدو عليه أيّ أثر من آثار المرض، ومع ذلك فهو ينقل المرض الى غيره من الاصحاء هذه من جهة، وهناك أيضاً فترة الحضانة وهي الفترة الزمنية التي تسبق؛ظهور الأعراض منذ دخول الميكروب الى الجسم وفي هذه الفترة يكون انقسام الميكروب وتكاثره على أشده ومع ذلك فلا يبدو على الشخص في فترة الحضانة هذه إنه

يعاني من أي مرض ولكنه بعد فترة قد تطول وقد تقصر على حسب نوع المرض والميكروب الذي يحمله تظهر عليه أعراض المرض الكامنة في جسمه.

فالشخص السليم في المنطقة الموبوءة قد يكون حاملا للميكروب كما قد يكون في فترة الحضانة فإذا خرج من بلدته تلك لم يلبث أن يظهر عليه الوباء، فيعدي غيره و ينقل بذلك المرض الى آلاف البشر بل الى ملايين البشر.

لذا جاء المنع شديدا، وجاء الوعيد مرعباً مخيفاً، والفار من الطاعون كالفار من الزحف، كما جاء الوعد مرغباً جاثا أشد الحث على الاقامة والصبر «المقيم فيه كالشهيد» «والصابر فيه كالصابر في الزحف» «والمطعون شهيد».

تطبيق الحجر الصحي :

هذا وقد قام بتطبيق الحجر الصحي و بتنفيذه ثاني خلفاء الاسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فقد ورد في الصحيح أن عمر بن الخطاب خرج الى الشام حتى إذا كان بمراع لقيه أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام، فقال لابن العباس ادع لي المهاجرين الأولين، قال فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال له بعضهم: خرجت لامر فلانرى أن نرجع عنه، وقال آخرون معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلانرى أن تقدمهم على هذا الوباء؟ فقال عمر: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار فدعوتهم له فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم، ثم قال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم له فلم يختلف عليه منهم رجلان، قالوا نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فأذن عمر في الناس إني مصبح على ظهري فاصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة ابن الجراح: ياأمير المؤمنين أفراراً من قدر الله تعالى؟ قالوا لو غيرك قالها ياأبا عبيده، نعم نفد من قدر لله الى قدر الله تعالى أرأيت لو كان ابل فهبطت واديا له عدوتان احداهما خصبة والأخرى جدبة، الست ان رعيتها الخصبة رعيتها بقدر الله وان رعيتها الجدبة رعيتها بقدر الله تعالى؟ قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجاته. فقال إن عندي في هذا علما: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا كان الوباء بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه».

و بذلك ظل عمر رضي الله عنه على تصميمه وعاد برجاله من حيث أتى ولم يدخل الشام وهذه الحادثة تعد أول حادثة في الاسلام روعي فيها تطبيق الحجر الصحي بمنع الدخول على الوباء في بلاد الشام.

وأخيراً لذلك يعتبر حديث الطاعون من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الطبية الباهرة، ولو تسنى لأهل العلم الذين أذ ابوا أدمغتهم عصوراً عديدة منقبين ومجتهدين لمعرفة مسبب الطاعون الاطلاع على إرشادته مع تفهم حقائقها ومغازيها لوفروا على أنفسهم أتعاباً شاقة ولأمكنهم العثور على مسببات الأمراض الوبائية والسارية بسهولة، ولكان بمقدور البشر أن يتقدم باكتشافه لها في مضمار الوقاية أشواطا كبيرة منذ قرون، مخففاً و يلات هذه الأمراض الوبائية.

المراجـــــــع

١ ــ العدوى بين الطب وحديث المصطفى — د. محمد علي البار
٢ ــ الطب النبوي — للإمام ابن القيم الجوزية
٣ ــ علم الجراثيم — د. عمر بلاش
٤ ــ الصحة العامة والرعاية الصحية — د. فوزي علي جاد الله
٥ ــ مبادىء الطب الباطني — هاديسون ترجمة مجموعة من أعضاء الهيئة التدريسية في كلية الطب جامعة دمشق الجزء الثاني
٦ ــ معجزات في الطب للنبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم — الطبيب محمد سعيد السيوطي

خير زاد!!

خطب ابو ذر عند الكعبة قائلا:
أليس إذا أراد أحدكم سفراً يستعد له بزاد؟ فقالوا: نعم.
فقال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون.
فقالوا : دلنا على زاده!
فقال : حجة لعظائم الامور وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور..
وصوموا يوماً شديدا حره لطول يوم النشور..